تقديس الخصوبة عند سكان عصور ما قبل التاريخ في العراق

م.د. حسين يوسف حازم النجم*

تاريخ التقديم: 2009/8/12 تاريخ القبول: 2009/11/12

تعد الناحية والسلوك الديني من مجالات الحياة التي تؤلف السياق الوظيفي الفعال للثقافة المادية، إذ يعد الدين الاستجابة البشرية الايجابية للقوى الطبيعية التي أطلق عليها بعض المختصين مصطلح (الخارق للطبيعة) في العصور الحجرية القديمة وهو مصطلح استخدمه مؤرخو الدين في وصف تجربة الإنسان في مواجهة القوى المروعة الموحية بالرهبة الساحرة التي لا تقاوم وفوق البشر المتجسدة بالظواهر الطبيعية للعالم المادي في محاولة للمسك بصفات القوى وترجمتها إلى شيء يمكن أن يتمسك به البشر [1]. ومن هذا المنطلق تحددت علاقة الإنسان بالقوى الطبيعية وأخذت منحيين، منحى الخوف من تلك القوى وما قد تسببه من أثر بالغ على حياة الإنسان الذي حاول حسب ما اعتقده من تلافي خطرها بعبادته وتقديسه لمظاهرها ومنحى الاستفادة مما قد تدره عليه من خير ونفع وبشكل أساس توفير الغذاء الذي هو أساس بقائه ونموه وتكاثره وهذا ما نحن بصدده في هذا البحث.

إن الانتقال إلى الاقتصاد الزراعي والرعوي في العصر الحجري الحديث (Neolithic) في معظم مناطق العالم والشرق الأدنى القديم بشكل خاص يُعد أهم التحولات التي تحققت للإنسان خلال سير حياته الطويلة في العصور الحجرية القديمة إذ عاش السكان في مجموعات مستقرة أو شبه مستقرة إلى جانب قاعدة اقتصادية ثابتة. وقد شهد العراق أبرز تلك التحولات المتمثلة بممارسة الزراعة الحقيقية المنتظمة وتدجين الحيوانات ونشوء المستوطنات والقرى الزراعية

(*) جامعة الموصل/ كلية الآثار/ قسم حضارات الشرق الأدنى القديمة.

(1) بوتس، دانيال تي، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، 2006، ص 274.

والتطورات الأخرى التي شهدها العصر الحجري الحديث [2]. إذ شهد قيام المجتمعات المستقرة على حافة سهول بلاد الرافدين، فقد قام السكان باستغلال المناطق الزراعية التي عاشوا فيها من خلال قيامهم بالعمليات الزراعية المعتمدة على مياه الأمطار، إذ انتشرت المستوطنات والقرى في تلك المناطق التي تحظى بسقوط مطري ساعد على قيام الزراعة بشكل ناجح وخصوصاً الحبوب[3].

لقد كان من نتائج العملية الزراعية ودأب الإنسان العراقي في العصر الحجري الحديث على ممارستها باعتبارها الأساس لمعيشته وبقائه ووجوده أن تجسدت لديه بعض المعتقدات والأفكار ذات الطابع الديني التي تدور حول تقديس الخصوبة والإنتاج، إذ إن المناطق الواقعة في الأقسام الشمالية من العراق كانت تعتمد في إنتاجها بصورة رئيسة على الأمطار وكل ما تحتاجه من أجل غزارة الإنتاج هو الخصوبة والتي لا قيمة لها بدون المطر [4]. ولهذا السبب قدس سكان هذه المناطق الخصوبة وكل ما يولد حياة جديدة ورمزوا لعبادتهم هذه بضع تماثيل ودمى حجرية وطينية دلت في مضمونها على زيادة التطور الاجتماعي ومظهراً من مظاهر الحياة الزراعية الجديدة للعصر الحجري الحديث فيها [5]. وقد مثلت تلك الدمى والتماثيل مظاهر الخصب والتكاثر ومنها الدمى والتماثيل النسوية التي وضعت بأحجام صغيرة الحجم وبأساليب مختلفة تصور نساء عاريات ذوات دلائل أنثوية تصور الأجزاء التي لها علاقة بالولادة والتكاثر والتي بولغ فيها[6]. وقد مثلت بالآله المصورة للأم باعتبار أن الأم ظاهرياً هي العنصر الوحيد المنتج للحياة بين

([2]) Mathews, R., The Archaeology of Mesopotamia, London, 2003, pp. 47–48.

([3]) Cauvin, J., The Birth of the Gods and to Origins of Agriculture, Translated by: Trevor Watkins, Cambridge, 2003, p. 11.

(4) رشيد، فوزي، "وأد البنات ونظام تعدد الزوجات في عصور ما قبل التاريخ"، مجلة سومر، مج36، 1980، ص 853.

([5]) Mathews, S., The Early Prehistory of Mesopotamia 500,000 to 4,500 BC, Brepols, 2000, p. 51.

(6) توكاريف، سيرغي، الأديان في تاريخ العالم، ترجمة: أحمد م. فاضل، دمشق، 1998، ص 42.

الجنس البشري[7]. وقد ركز الإنسان منذ أقدم العصور على تقديس الأمومة وعدها مصدراً تجلب الخير له لتأمين استمرارية وجوده في الحياة وضمان استمرارية حصوله على القوت[8]. ومنذ العصر الحجري الحديث عمل الإنسان على تقديس دمى النساء الحوامل في المناطق الزراعية الأولى من منطقة الشرق الأدنى القديم أطلق عليها بدمى الآلهة الأم (Mother Goddess) إذ يشير العديد من الباحثين المختصين إلى ارتباط عبادة الوفرة بتسجيل الإلوهية النسائية التي كانت ترتبط في العصر الحجري الحديث مع نمو الاقتصاد القائم على الزراعة[9]. أن هذا الارتباط ما بين المرأة والأرض جاء نتيجة التركيز على العلاقة الوظيفية المشتركة ما بين الاثنتين، فالسكان في المناطق التي تم فيها ممارسة الزراعة ومنها العراق بوجه خاص بدءوا بالتركيز والتأمل منذ فترات مبكرة من نشوء الزراعة على مسألة إنجاب المرأة للأطفال ومراحل تكونهم وعملية جني المحصول وما تنتجه الأرض. وقد تم تمثيل تلك العلاقة بأسلوب فني رفيع من خلال صنع تماثيل أصبحت فيما بعد كما وردت الإشارة إليها سابقا تتخذ شكل طقسي ديني يرمز إلى المرأة [10](*).

(7) فوزي، "وأد البنات"، المصدر السابق، ص 53.

(8) الرويشري، سعدي، "نظرات في منجزات إنسان ما قبل التاريخ في ضوء الدراسات الحديثة"، مجلة سومر، مج26، 1970، ص 374.

(9) توكاريف، المصدر السابق، ص 46.

([10]) Charvat, P., Mesopotamia before History, London, 2001, pp. 37–38.

(*) شكلت الدمى والتماثيل الأنثوية أهمية كبيرة وحيزاً واسعاً خلال فترة عصور ما قبل التاريخ في أجزاء واسعة من العالم أخذت بعداً تاريخياً كبيراً وجد صداه خلال فترة العصر الحجري الحديث وما بعده في مواقع الشرق الأدنى القديم والعراق بوجه خاص والتي لم تكن مجرد صفة وإنما استمرار تاريخي متواصل عُبر عنه حتى خلال فترة العصور التاريخية. وقد وجد العديد من تلك الدمى والتماثيل في أوربا منها تمثال (ويلندروف فينوس) في النمسا الذي كان يرمز إلى خواص سحرية والى جلب الخصب من المرأة وتمثال (غريمالدي) في ايطاليا و(براسيمبوي) في فرنسا وغيرها. وقد تميزت تلك التماثيل بأنها صغيرة الحجم تصور نساء بشكل عاري بولغ فيهن الأجزاء التي تدل على الخصوبة وخصوصاً الصدر والبطن التي ظهرت بشكل منتفخ تدل على الحمل والتي قورنت بمثيلاتها المكتشفة في العديد من مواقع الشرق الأدنى القديم ومنها العراق والتي لا تختلف عنها كثيراً. ينظر:

وقد تم العثور على العديد من المواقع العراقية القديمة العائدة للعصر الحجري الحديث وما بعده على دمى وتماثيل حجرية وطينية نسائية لها صلة بدمى الآلهة الأم تشترك جمعيها بصفات مشتركة دلت على الغاية الأساسية من صنعها وهي العبادة وتقديس الخصوبة من خلال ما يأتي:

1. إن غالبية تلك الدمى والتماثيل تم العثور عليها في مواقع زراعية تعود لفترة العصر الحجري الحديث وما بعده بمعنى أنها واكبت العملية الزراعية التي يفترض أن تكون الغاية الرئيسة من صنع تلك الدمى والتماثيل لغرض تحقيق الخصوبة التي شكلت مطلباً هاماً وضرورياً لحياة السكان في تلك الفترة سيما وأنها كانت تشكل العمود الفقري لهم بعد توجههم للزراعة نتيجة تغيير الظروف المناخية والبيئية في الألف العاشر.

2. إن نسبة أو كمية ما تم العثور عنه من تلك الدمى والتماثيل أو ما يشابهها في المواقع التي تسبق العصر الحجري الحديث ضئيلة ولا تتطابق في كثير من الأحيان مع الصفات المعبرة عن الخصوبة والتي تمتاز بها دمى وتماثيل العصر الحجري الحديث وما بعده وكذلك أيضاً من حيث طريقة الصنع كما في موقع (كريم شاهر)[*] الذي عثر فيه على شكلين من الدمى الطينية القليلة الشوي [11]. وموقع (ملفعات)[*] الذي عثر فيه على كسر طينية شبه محروقة يعتقد أنها تمثل دمى[12].

Swain, J.W., The Ancient World, New York, 1962, p. 20.

وينظر أيضاً: توكاريف، المصدر السابق، ص 42.

(*) كريم شاهر: موقع مكشوف يقع في منطقة المرتفعات التلية في شمال شرق العراق على بعد حوالي (6) كم شرق جمجمال ويبلغ ارتفاعه حوالي (835)م وقد جرت فيه تنقيبات آثارية أمريكية برئاسة (بروس هاو) ينظر:

Braid Wood, R.–Hawo, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, Chicago, 1960, pp. 52–53.

(11) Mellaart, J., "The Earliest Settlements in Western Asia from the Ninth to the End of the Fifth Millennium BC" In: Cambridge Ancient History, vol. 1, Part 1, 1970, p. 257.

(*) ملفعات: يقع هذا الموقع على ضفة نهر الخازر على الطريق الرابط بين اربيل والموصل وهو موقع مكشوف في العراء على ارتفاع (300)م فوق مستوى السهل المجاور له ويقدر

3. تقارب أشكال الدمى والتماثيل في جميع المواقع المكتشفة فيها سواء في العراق أو مناطق الشرق الأدنى القديم المجاورة لها من حيث الفترة الزمنية والشكل والصفات وطريقة الصنع مما يدل على نوع من الوحدة والتقارب المشترك في هذا الجانب بين تلك المواقع مما يشير إلى أن الغرض من صنع تلك الدمى والتماثيل ليس اعتباطياً أو عشوائياً بل كان لغرض رئيسي واحد إلا وهو تمثيل الخصوبة ومحاولة تقديسها وذلك من خلال الصفات المشتركة للدمى والتماثيل المكتشفة ومنها تمثيلها لفكرة الآلهة الأم التي تجمع بين الجنس والحمل والولادة والرضاعة والخصب، إذ مثلت كما سبقت الإشارة إليها في العديد من الحالات وهي تجمع تلك الصفات التي بولغ فيها وبالأوضاع التي تدل على ذلك كإحاطة الذراعين بالصدر أو البطن ووضعية الوقوف أو الجلوس بشكل القرفصاء التي تدل في كثير من الأحيان على حالة الولادة وانتفاخ البطن التي تدل على الحمل أيضاً وبروز الصدر ومنطقة العجز وعضو التكاثر وتلوين البعض منها ببعض الألوان كالأحمر مما يقودنا بالنهاية إلى الاستنتاج بأن تلك الدمى والتماثيل قد صنعت للغرض المذكور أعلاه ولم تكن لأغراض أخرى كأن تكون لعب أطفال أو استخدامها كتعاويذ وغير ذلك. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال العديد من النماذج المكتشفة في مواقع مختلفة من الشرق الأدنى القديم والعراق بوجه خاص. ومن أبرز تلك المواقع (جاتال هويوك)[*] في الأناضول (6700–7250) ق.م التي عثر فيها على تماثيل تشابه

تاريخه بحوالي (11000±9000) ق.م، وقد جرت فيه تنقيبات آثارية أمريكية برئاسة (روبرت بريوود) ينظر: Braid Wood–Hawo, op. cit., pp 50–52.

(12) الجاسم، صباح عبود، مرحلة الانتقال من جمع القوت إلى إنتاج القوت في العراق وجنوب غربي آسيا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975، ص 63.

(*) جاتال هويوك: أحد أهم مواقع العصر الحجري الحديث في الأناضول يقع بحوالي (11) كم شمال شرق منطقة (حجرة) و(56) كم جنوب شرق سهل قونيا وقد جرى فيه تنقيبات اثارية بريطانية في الستينات من القرن العشرين ابرزها التنقيبات التي جرت برئاسة (جيمس ميلارت) ينظر:

Mellart, J., "Catal Hnyk: The 1960 Deason", In: Ancient Anatolia, Ankara,1998, p. 35.

تماثيل الآلهة الأم من بينها تمثال يصور امرأة منتفخة البطن تدل على الحمل ذات صدر بارز وهي جالسة بين نمرين (الشكل 1–أ)[13] كما عثر في وادي الأردن (6000) ق.م على تمثال يعود للإله الأم مصنوعة من الطين النضيج ذات شكل مخروطي من الأعلى وضخم من الأسفل خصوصاً منطقة العجز والأقدام وبوضعية الجلوس (الشكل 1–ب)[14]. كما عثر في موقع (عين غزال) في الأردن أيضاً على تمثال صغير يمثل الآلهة الأم مطلي باللون الأحمر والقير ذات شكل مخروطي من الأعلى وضخم من الأسفل أيضاً وبوضعية الوقوف[15]. وفي المواقع العراقية القديمة تم العثور على العديد من الدمى والتماثيل الحجرية والطينية التي تم صنعها مع موازاة ممارسة وانتشار الزراعة ممثلة لأقدم مفهوم ديني وانعكاس لحقيقة الاستعداد الحضاري فيه[16]. إذ مثل موقع جرمو (*) والأنموذج الواضح لذلك المفهوم، إذ تم العثور فيها على ما يقرب من (5000) دمية بنوعيها البشرية والحيوانية والتي شكلت مظهراً مميزاً في القرية[17]، وقد صنعت تلك الدمى من الطين وقد كانت غالبية تلك الدمى مشوية شياً خفيفاً ومعمولة بصورة غير جيدة وقسم منها مطلي بلون أحمر

وينظر أيضاً: دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ترجمة: ليون يوسف، بغداد، 1990، ص 230

([13])Mellaart, op. cit., pp. 35–43. Also see: Neolithic Art.htm (from internet).

([14]) Ibid.

([15]) Charvat, op. cit., p. 37.

وينظر ايضا: الجاسم، المصدر السابق، ص 107.

([16]) Bottero, J., Religion in Ancient Mesopotamia, Translated by: Teresal L., Fegan, Chicago, 2001, p 7.

([*]) جرمو: إحدى أهم القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث في العراق، تقع إلى الشرق من مدينة كركوك بحوالي (35)كم وعلى بعد بنحو (11)كم من بلدة جمجمال على ارتفاع يبلغ حوالي (750)م فوق مستوى سطح البحر وتشغل مساحة من الأرض تبلغ إبعادها حوالي (90×140)م وقد احتوت على (16) طبقة أثرية. ويقدر تاريخ القرية بحدود (6750) ق.م وقد جرت فيها تنقيبات أثرية من قبل المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو برئاسة (روبرت بريدوود) عام 1948. ينظر: Braid Wood–Hawo, op. cit., p. 26. وينظر أيضاً: صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد، 1987، ص 76.

([17]) Mattews, "The Early Prehistory", op. cit., p. 45.

وقد اتسمت بالبدانة وتمثيلها لنسوة في حالة حمل (الأشكال2–3)[18]. كما عثر في قرية حسونة[*] في طبقتها الخامسة على دمية طينية ملونة باللون الأحمر[19] يعتقد أنها تعود للإله الأم وذلك من خلال اللون الأحمر الذي اتسمت به تماثيل الآلهة الأم. وفي موقع (تلول الثلاثات)[*] تم العثور على تماثيل تعود للإله الأم بوضعية الجلوس ذات صدور بارزة (الشكل 4–أ) تم العثور عليها أثناء تنقيبات الموسم الثالث في التل الثاني من الموقع في الفترة (1956–1964)[20]. كما عثر في ذات الموقع على ما يقرب من (28) قطعة تعود لتماثيل أنثوية بشكل شظايا وقطع مكسورة أشكالها أشكال دمى الآلهة الأم تم العثور عليها أثناء التنقيبات التي جرت في المنطقة ضمن الموسم الخامس لتلك التنقيبات من عام (1976) وقد تميزت تلك التماثيل بأن البعض منها مصنوع أو مطلي بالقش وتتصف غالبيتها بالبدانة وتضخيم الأعضاء الدالة على الخصب والولادة وكانت تلك التماثيل بوضعية

(18) اندريه بارو، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان –سليم طه التكريتي، بغداد، 1977، ص 87.

(*) حسونة: يقع تل حسونة على مسافة (35)كم إلى الجنوب من مدينة الموصل وعلى بعد كيلومترين في الجهة الشمالية التي عرف باسمها وهي قرية حسونة وهو بيضوي الشكل، وتبلغ مساحة قمته المنبسطة (250)م2، ويرتفع التل نحو (7)م عن السهل المجاور وقد اكتشفته المديرية العامة للآثار عام (1942) واوكلت عملية تنقيبه للمنقب (سيتون لويد) عام 1943. ينظر: صالح، المصدر السابق، ص 59.

(19) Loyed, S. Safar, F., "Tell Hassuna: Excavations by the Iraqi Government Directorate of Antiquities in 1943 and 1944", In: JNES, vol. 4, 1945, p 271.

(*) تلول الثلاثات: تقع في سهل واسع غرب نهر دجلة على بعد (60)كم إلى الغرب من مدينة الموصل وبمسافة تبلغ(15)كم إلى الشمال الشرقي من تلعفر وتبلغ حوالي (4) تلول، وقد جرت فيها تنقيبات اثارية يابانية منذ (1956) وكانت برئاسة (ناميو ايكامي). ينظر:
Egami, N., Sono, T., Horiuchi, K., "Brief Report of the Third Seasons Excavations at Tell II of Telul Thalatha and some Observations", In: Sumer, vol. 22, 1966, p 1.

(20) Ibid, p. 16.

الجلوس[21].وتلك الصفات كما أشرنا سابقا تعود للإلهة الأم (الشكل5). كما عثر في موقع (يارم تبه)[*] خلال تنقيبات الموسم الأول من عام (1969) على (16) تمثال تعود غالبيتها لنساء تتصف بصفات دمى الآلهة الأم، إذ تم العثور في الطبقة (V) من الموقع على (10) منها تعود لنساء بوضعية الوقوف تتميز بأنها ذات عيون طولية وأذرع ملفوفة أو ملتقية على منطقة الصدر الذي صور بشكل تخطيطي مع وجود خصر نحيف وورك عريض. كما تم العثور على دمى صغيرة بوضعية الجلوس تم العثور عليها في الطبقة (II) من الموقع[22]. كما تم العثور في ذات الموقع في التل الثالث (III) على مجموعة من التماثيل البشرية والحيوانية مصنوعة من الطين يبلغ عددها (20) تمثالاً منها عدد من التماثيل الأنثوية والتي من بينها تماثيل بوضعية الجلوس وقد لفت أذرعها حول الصدر الذي تميز ببروزه وبشكل محمول من الأذرع وقد تميزت تلك التماثيل بتزيينها بزخارف وقلائد ملونة ومن بين التماثيل ايضا اشكال مخروطية ومستطيلة وهرمية وبوضعية الجلوس ايضا (الشكل 6)[23].

([21]) Fukai, S., Mastutemi, T., "Excavations at Telul E Thalatha, 1979", In: Sumer, vol. 33, 1977, pp. 51–54.

([*]) يارم تبه: تقع مجموعة تلول يارم تبه في محافظة نينوى على مسافة حوالي (6–7)كم جنوب غرب تلعفر بارتفاع يبلغ نحو (4,5) فوق مستوى السهل الحالي وقد جرت فيها تنقيبات آثارية سوفيتية منذ عام (1969) وكانت برئاسة (كرونيوف). ينظر:

Merpert, NY, Bader, N.O., "Archeological Studies in the Sinjar Valley, 1980", In: Sumer, vol. 43, 1984, p 32.

وينظر ايضا: صالح، المصدر السابق، ص 44.

([22]) Merpert, N, Munchajev, R., "The Investigation of the Soviet Archaeological Expedition in Iraq in the Spring Excavations at Yarium Tepe First Preliminary Report", In: Sumer, vol. 25, 1969, p. 128.

([23]) Munchajev and others, op.cit, p. 43.

وفي موقع قالينج أغا [*] تم العثور على ما يقرب من (47) دمية تم العثور عليها أثناء التنقيبات التي جرت في الموقع عام (1968) وقد جاءت بعض الدمى الأنثوية في وضعية القرفصاء والتي يعتقد أنها تشير إلى الحالة التي تتخذها المرأة عند الولادة مما يدل على أن الغرض من صنع تلك الدمى قد تمثل حول فكرة الخصب والولادة التي تعود إلى فكرة الآلهة الأم [24]. إذ عثر في الطبقتين الثانية والثالثة على تلك الدمى والتي من بينها دمية مصنوعة من طين مفخور بشكل جيد ذات شكل مخروطي طولها حوالي (3)سم وقد تميزت بالاتساع والضخامة من منطقة أسفل الرأس وحتى منطقتي العجز والبطن حيث بلغ أقصاه وكانت بوضعية الجلوس وقد برز فيها تصوير العضو الأنثوي الذي كان صور بحجم كبير نسبياً بلغ حوالي (1,5)سم[25].

إن فكرة تقديس الخصوبة لبضع دمى أنثوية تمثل الآلهة الأم عند سكان المستوطنات والقرى الزراعية العراقية القديمة لم تكن الوحيدة في تعبيرهم لذلك المفهوم، ففضلاً عن ذلك فقد أدخلوا عنصراً جديداً عبر عن الخصوبة وتوليد الحياة تمثل بعنصر الرجل الذي رمزوا له بالعنصر الذكري الذي وجد في العديد من المواقع العائدة لفترة العصر الحجري الحديث وما بعده ويشير بعض الباحثين إلى أن إدخال ذلك العنصر كرمز للخصوبة وما يولد حياة جديدة إلى جنب المرأة لا يخرج العبادة أو المفهوم الديني السابق عن إطاره، كذلك كسب الرجال من الناحية العاطفية وشدهم إلى ذلك المفهوم السابق [26]. وبوجه عام فان وجود ذلك

([*]) قالينج أغا: مستوطن أثري واسع يزيد ارتفاعه على 7م وتبلغ مساحته حوالي (33) ألف متر مربع يقع جنوب قلعة اربيل بمسافة كيلومتر واحد. ينظر: صالح، المصدر السابق، ص81. وينظر أيضاً: حجار، إسماعيل، "دمى من تل قالينج أغا في اربيل"، مجلة سومر، مج 26، 1970، ص 31.

(24) المصدر نفسه، ص 31–32.

(25) المصدر نفسه، ص 36.

(26) رشيد، فوزي، "حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري"، مجلة سومر، مج29، 1973، ص 74.

العنصر في المفهوم العقائدي الخاص بتقديس الخصب يشير إلى أهميته كرمز للتكاثر البشري وديمومة وبقاء الحياة وبالتالي فان وجوده من بين مخلفات المستوطنات والقرى العراقية القديمة يدل على ذلك. ومن بين المواقع التي تم العثور فيها على ذلك الرمز موقع قرية جرمو، التي عثر فيها على ما يشبه العضو التناسلي للرجل مصنوع من الحجر [27]. وكذلك في الطبقة الثالثة من موقع تل (قالينج أغا) الذي عثر فيه على نموذج طيني غير مشوي بلغ طوله حوالي (8)سم وقطر قاعدته (3)سم وقسم من نهايته مفقود[28].

ومن المظاهر الأخرى الخاصة بتقديس الخصوبة قيام سكان المستوطنات والقرى العراقية القديمة منذ فترة العصر الحجري الحديث بضع دمى وتماثيل حيوانية تعود لحيوانات مرتبطة بالعملية الزراعية وذات الفائدة الاقتصادية ومنها بشكل خاص الكلاب والأغنام والماعز والخنازير والثيران والأبقار والماشية والتي شكلت ومنتجاتها غذاءً رئيسياً للسكان في تلك الفترة. وتقف الأغنام في مقدمة الحيوانات التي شكلت فائدة اقتصادية للسكان نظراً لفوائدها الجمة في حياتهم، إذ تغذوا على لحومها وحليبها واكتسوا من صوفها خلال مراحل حياتهم المختلفة [29]. وقد انعكس ذلك من خلال قيام هؤلاء السكان بصنع دمى وتماثيل لتلك الحيوانات والتي تم العثور عليها في العديد من المواقع التي من أبرزها موقع (تلول الثلاثات) التي تم العثور فيها على ما يقرب من (8) تماثيل حيوانية (الشكل 7) عبارة عن قطع مكسورة يرجح عائدية الغالبية منها لأغنام [30]. كما عثر في موقع (يارم تبه) التل الثاني (II) على تمثالين حيوانيين يعود أحدهما لأغنام [31]. ومن بين الحيوانات التي شكلت منفعة اقتصادية للسكان وتعد من حيوانات الخصب المهمة الخنازير التي تم الإفادة من لحومها وشحومها، فشحم هذا الحيوان يولد طاقة حرارية عند الإنسان الذي يتناوله ولاسيما الذي يعيش في أجواء باردة لذا فقد شكل

([27]) Braid Wood, R. Howe, B, op. cit., p. 46.

(28) حجارة، المصدر السابق، ص 40.

(29) الجليلي، زهير فخري، جلال ايليا، إنتاج الأغنام والماعز، موصل، 1984، ص 15.

([30]) Fukai, Matsutani, op. cit., pp. 51–54.

([31]) Munchajev, R.M., Merpert, N. "Excavations at Yarim Tepe 1972, Fourth Preliminary Report", In: Sumer, vol. 29, 1973, p. 14.

مادة أساسية للسكان في مختلف العصور [32]. ومن بين المواقع التي عثر فيها على دمى ذلك الحيوان موقع (جوخه مامي) [*] الذي عثر فيه على دمى حيوانية مصنوعة من الطين المشوي تمثل بعضها خنازير [33]. وتعد الأبقار من بين أهم حيوانات الخصب التي قام السكان بصنع دمى وتماثيل لها، إذ كان لها فائدة اقتصادية كبيرة لهم من حيث استهلاك لحومها وحليبها الذي شكل عنصراً رئيساً في التغذية ولاسيما الأطفال وكذلك جلودها في صنع الملابس وبعض الصناعات التي يدخل فيها جلد هذا الحيوان بشكل رئيس[34]. ومن بين المواقع التي عثر فيها على دمى وتماثيل ذلك الحيوان موقع (تلول الثلاثات) الذي عثر فيه على تمثال يشبه رأس بقرة (الشكل 4) مصنوع من الطين النضيج[35]. وكذلك موقع (تل قالينج أغا) الذي عثر في الطبقة الثانية منه على ثلاث دمى حيوانية تمثل أحداها بقرة[36]. ومن بين الحيوانات التي شكلت أهمية خاصة إضافة إلى فائدتها الاقتصادية الثيران والتي قدسها السكان ولاسيما في فترة عصر حلف وعدوها أحد أهم مظاهر الخصوبة، إذ مثل الثور لديهم العنصر الذكري في الطبيعة والذي يعد

(32) النجم، حسين يوسف حازم، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2006، ص 53.

(*) جوخة مامي: يقع تل جوخه مامي في محافظة ديالى على مسافة تبلغ حوالي (5)كم شمال قضاء مندلي وهو ذات شكل مستطيل يبلغ أبعاده (200×150)م وبارتفاع يتراوح ما بين (2–5)م عن مستوى الأرض المجاورة. وقد بدأت بعثة بريطانية أعمالها في الموقع عام 1967 ولغاية 1968. ينظر:

Oates, J. "Prehistoric Investigation Near Mandali", In: Iraq, vol. 30, 1968, p. 5.

وينظر أيضاً: صالح، المصدر السابق، ص 105.

(33) Oates, op cit., p. 117.

(34) الدباغ، تقي، "تدجين الحيوان استناداً إلى الآثار المكتشفة في المواقع الأثرية"، مجلة كلية الآداب، مجامعة بغداد، ع30، 1981، ص 301. وينظر أيضاً: النجم، المصدر السابق، ص 55.

(35) Egami and others, op. cit., p. 16.

(36) حجارة، المصدر السابق، ص 35.

النظير للعنصر الأنثوي الممثل للآلهة الأم، فقد مثل لديهم الخصب من ناحيتين، فهو رمز القوة والنشاط ومن ينابيع الخصب الممتازة في الزراعة بوصفه سيد الماشية، وبهذا فان تقديس الأمومة وعبادة الثور من البوادر الفكرية الأولى الهامة للمجتمع الزراعي[37]. ويستدل على أهمية هذا الحيوان عند سكان القرى الزراعية لعصر حلف من خلال تنفيذ أشكال رأسه على العديد من الأشكال الفخارية المكتشفة ولاسيما في الاربجية، إذ وجد فوق الأرض [*] البكر من الموقع دمى حيوانية تمثل بعضها رؤوس حيوانات ذات قرون يحتمل أنها تعود لثيران ذو شكل مجوف (الشكل 8)[38]. كما تم العثور على دلايات بشكل رأس الثور في عدة مواقع حلفية مثل الاربجية وتبه كورا ويارم تبه (التل الثاني والثالث) [39]. كما عثر في بعض المواقع العائدة لعصر العبيد على أشكال حيوانية من بينها الثور. إذ عثر في موقع (تل عياش) [*] على آنية فخارية مصبوغة باللون الأحمر الباهت عبارة عن شكل قدم ثور (الشكل 9)[40].

---

(37) كسار، أكرم محمد عبد، "مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم منذ اواخر الألف السادس ق.م حتى بداية النصف الثاني من الألف الخامس ق.م"، مجلة سومر، مج45، 1978-1988، ص249.

(*) الاربجية: تقع هذه القرية في محافظة نينوى على مسافة تبلغ حوالي (6)كم شمال شرق مدينة نينوى الآشورية والموقع عبارة عن تل صغير يرتفع عن مستوى الأرض المجاورة بحوالي (5,5)م . وقد قام بالتنقيب في هذه القرية بعثة اثارية انكليزية برئاسة ملوان عام 1933. ينظر:

Mallowan, M., Rose, J., Excavation at Tell Arpachiyah 1933, In: Iraq, vol. 2, 1935, p. 3.

وينظر أيضاً: صالح، المصدر السابق، ص 61.

([38]) Mallowan Rose, op. cit., p 112.

وينظر أيضاً: الشيخ، عادل عبد الله، بدء الزراعة وأولى القرى في العراق، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985، ص 98.

(39) كسار، أكرم محمد عبد، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1982، ص 131.

(*) تل عياش: يقع على بعد حوالي (7)كم إلى الشمال الغربي من مركز ناحية السعوية بالقرب من الضفة الشرقية لنهر ديالي ويرتفع من مستوى الأرض المحيطة به بحوالي (2,25)م.

نخلص مما تقدم أن انتقال الإنسان في العصر الحجري الحديث إلى الاقتصاد الزراعي ولد لديه فكرة تقديس الخصوبة والإنتاج وقد بدأت هذه الفكرة في الأقسام الشمالية من العراق التي كانت تعتمد في إنتاجها بصورة رئيسية على الأمطار والتي كانت العامل الرئيس للخصوبة والتي لا قيمة لها بدون المطر. وفي هذا العصر قدس الإنسان دمى النساء الحوامل وهذا التقديس كان يرتبط مع نمو الاقتصاد القائم على الزراعة وقد تم العثور على العديد من المواقع العراقية القديمة العائدة للعصر الحجري الحديث وما بعده على دمى وتماثيل حجرية وطينية نسائية لها صلة بدمى الإله الأم والغاية الأساسية من صنعها هي العبادة وتقديس الخصوبة. ومن المظاهر الأخرى الخاصة بتقديس الخصوبة قيام سكان المستوطنات والقرى العراقية القديمة منذ العصر الحجري الحديث بصنع دمى وتماثيل حيوانية تعود لحيوانات مرتبطة بالعملية الزراعية وذات الفائدة الاقتصادية.

ينظر: الجادر، وليد محمود، تل عياشر (تقرير أولي عن حفريات جامعة بغداد) كلية الآداب، قسم الآثار في موقع تل عياش الواقع في حوض حمرين، مجلة سوومر، مج 35، 1979، ص 556.

(40) الجادر، المصدر السابق، ص 560.

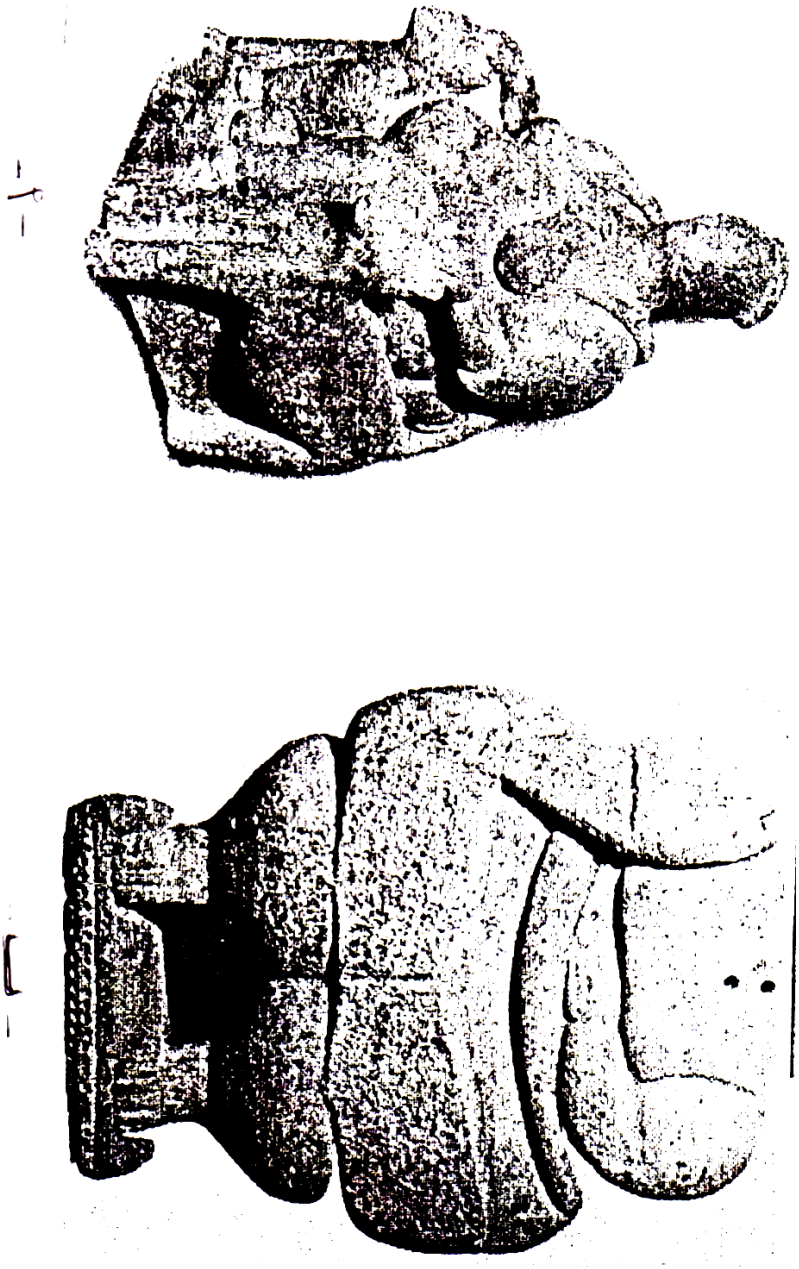

الشكل (1)

المصدر: Neolitihic Art.htm

الشكل (2)

المصدر: الدباغ، تقي–الجادر، وليد، عصور ما قبل التاريخ، بغداد،1983، ص 507

الشكل (3)

المصدر: الدباغ – الجادر، المصدر السابق، ص 475

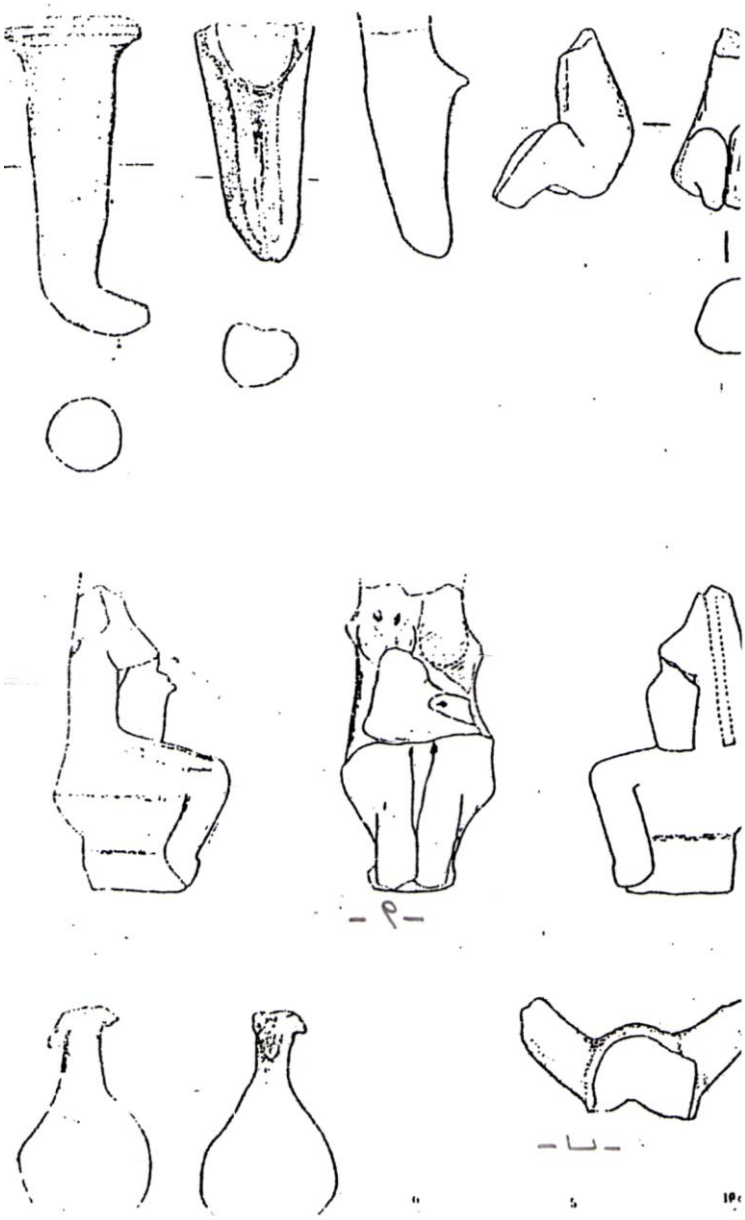

الشكل (4)

المصدر: Egami, N.–Sono, T., op. cit., p. 16

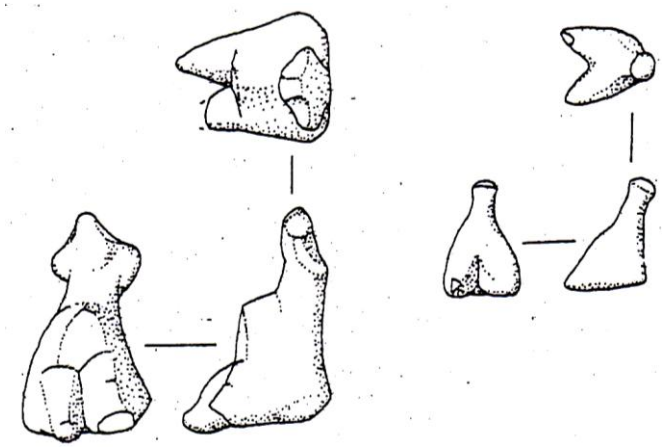

الشكل (5)

المصدر: Fukai, S.–Matsutami, op. cit., p. 53

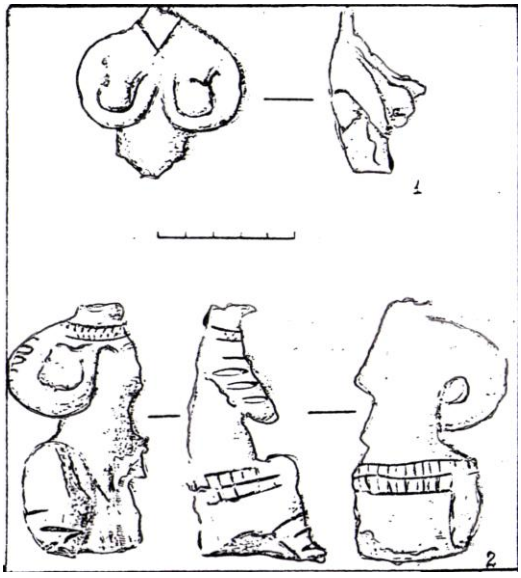

الشكل (6)

المصدر: Munchaer and others, op. cit., p. 43

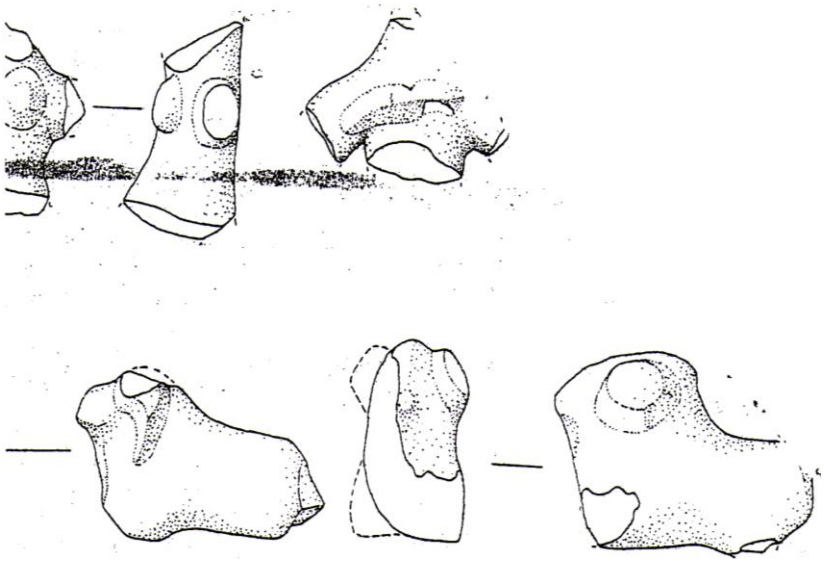

الشكل (7)

المصدر: Fukai, S.–Matsutami, op. cit., p. 53

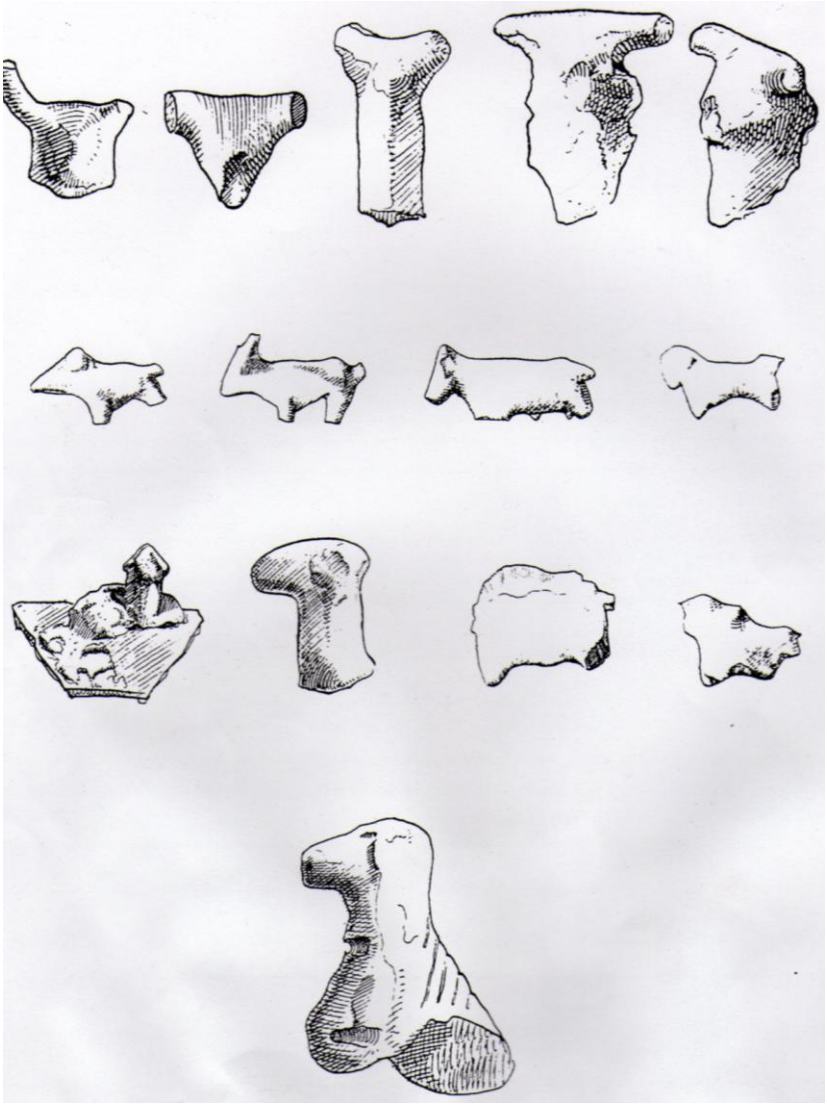

الشكل (8)

المصدر: Mallowan–Rose, op. cit.

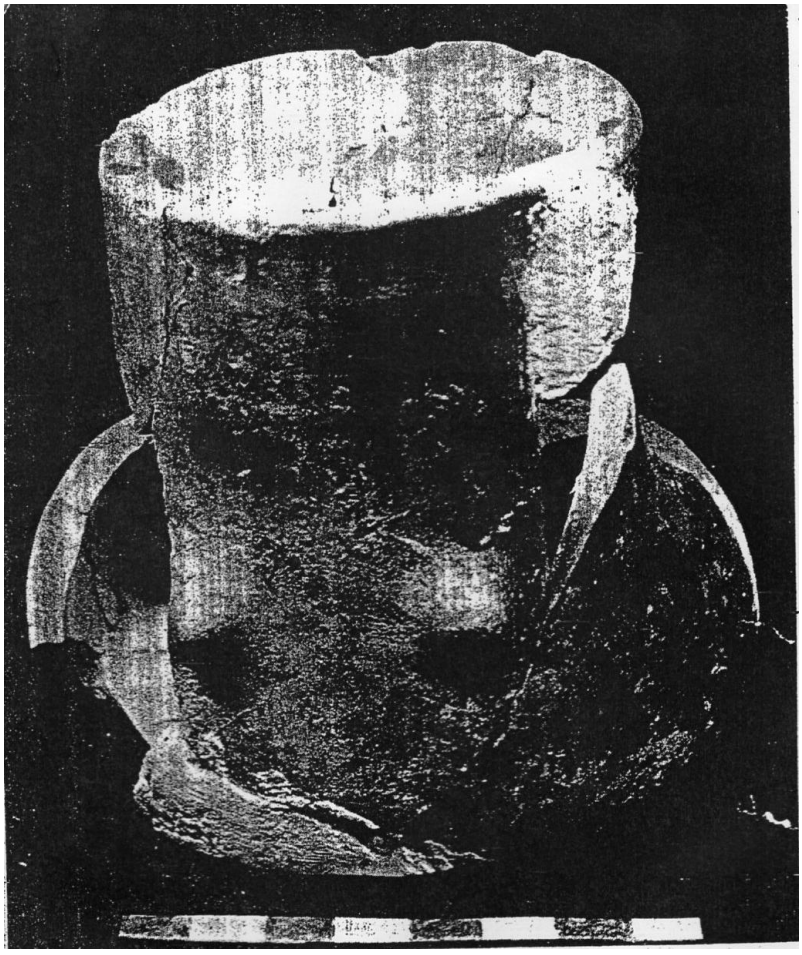

الشكل (9)

المصدر: الجادر، المصدر السابق، ص 565

Fertility Worship of Prehistoric People in Iraq

Dr.Hussein .Y. Al-Najm*

Abstract

Agriculture formed a vital element for human beings during Neolithic. It changed his life to a new phase, after he was moving from place to place looking for animal hunt, collecting fruits and living in caves, he turned due to practicing agriculture into a stable life in settled Villages getting his food in a permanent way. Agriculture was a civil, economic and social revolution. Iraqi people contributed heavily in this vital change for they were living in one of the most important place in the near East Witnessed the beginning of that change which also helped him to have a mental realization and give a big value to the incentives represented by agriculture. This led to worship agriculture for his existence was highly connected with what land gave people of fruits. Moreover, man expressed his worship in religious concept which was the early and first in history expressing land as a mud figures of a women with an exaggerate feminity. Thay made a functional relationship between land and women in artistic and social representation revealed by excavations in several agricultural sites in Iraq and Near East. Furthermore, this relationship showed a civilization unity among those sites through the worship of that mud figures.

*Department of Ancient Near East Civilizations/College of Archaeology/ University of Mosul.